الدعم النفسى للأطفال ضحايا الحروب

(فى مرحلة الطفولة المبكرة)

نهى نبيل محمود الشريف

باحثة – كلية التربية للطفولة المبكرة – جامعة دمنهور- مصر

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١ م

ملخص البحث:

يهدف البحث الحالى إلى (التعرف على المشكلات النفسية التى يعانى منها الأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة - تسليط الضوء على أهمية تقديم الدعم النفسى للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة – عرض بعض طرق وأساليب الدعم النفسي المناسبة للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة). واستخدم البحث المنهج الوصفى التحليلى القائم على التحليل بإستخدام فئة الموضوع . وتشيرنتائج البحث إلى وجود قصور فى برامج الدعم النفسي المقدمة للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة.

المقدمة :

للحروب ضحايا، والأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة هم أول ضحايا الصراعات والحروب، والفئه الأكثر عرضه للمخاطر على الصعيدين المباشر، وغيرالمباشر. فالأطفال إما يكونوا قتلي، أومصابين، وقد يصبحوا ايتاما، اومنفصلين عن أسرهم (مفقودين ومشردين،لاجئين)، أومعيلين لأسرهم ،أوأمهات قاصرات، أو أطفالا عاملين ،أو مجندين.

وهو ما يؤكد على احتياج هذه الفئه المستضعفة والأكثر تضرراً ومعاناه إلى الدعم النفسى للخروج والتعافى من حالة الاضطرابات النفسية و الصدمات النفسية التى تلازمهم ويعيشون فيها.

وهو ما أكدته دراسة (سيهام أبوعيطة،٢٠٢١:٢٥) التى أشارت فيها إلى مطالبه العديد من المنظمات الدولية بضرورة توفير برامج دعم وعلاج نفسي للأطفال ضحايا الحروب لأثارها الإيجابي فى تحسين مستوى التكيف النفسي ، وخفض الضغوطات النفسية لديهم.

تحديد المشكلة :

فى جميع الأحوال يصبح الأطفال ضحايا للحروب. اذا قُتلوا هم ضحايا، واذا عاشوا هم أيضاَ ضحايا لآثار مشكلاتها النفسية ، وخبراتها المؤلمة الممتد عليهم.

- كيف يمكن التخلص من رواسب وآثار المشكلات النفسية للحروب على الأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة ؟

لذلك جاء هذا البحث لتسليط الضوء على أهمية الدعم النفسى والصحة النفسية للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة، والتأكيد على ضرورة الاهتمام برعاية هذه الفئه العمريه لأن تجاهلهم فى هذا الجانب والتغاطى عن هذا الاحتياج النفسى هو أمرلا يجوز التهاون فيه، أوتجاهله والتغافل عنه .

كذلك لحث الباحثين والمتخصصين فى مجال التربية وعلم النفس على ضرورة تصميم وإعداد برامج ارشادية وتربوية للأطفال ضحايا الحروب فى محاولة لعلاج تلك الآفات النفسية التى أصابتهم، وللتخفيف والحد من آثارالحروب النفسية عليهم فى المستقبل .

أهدف البحث :

يهدف البحث الحالى إلى :

- عرض المبررات المختلفة لضرورة الإهتمام برعاية الأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة.
- بيان بعض المشكلات النفسية التى يعانى منها الأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة.
- إلقاء الضوء على أهمية تقديم الدعم النفسى للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة.
- عرض بعض طرق وأساليب الدعم النفسى التى يمكن تقديمها للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة.

أهمية البحث :

- تنبثق أهمية البحث من أهمية الفئة العمرية التى يستهدفها وهى الأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة ، فخطر الحروب عليهم مضاعف، وذلك نظرا لصغرأعمارهم ، وقلة خبراتهم، وعدم قدرتهم على حماية أنفسهم، وعدم استطاعتهم فهم ما يحدث.
- كما يعد هذا البحث وسيلةِ لِجذب انتباه الباحثين فى المجال التربوى، والمتخصصين فى مجال علم النفس وتوجيه أنظارهم تجاه فئه الأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة ، وحثهم على تقديم وتنفيذ برامج ارشادية وعلاجية تعززمن سلامتهم النفسية ، فلا يجب أن يكون الإهتمام منصب فقط على صحة الأطفال الجسدية فى حالات العجزأوالإعاقة، والمرض .

منهج البحث :

استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي الذى يقوم بوصف ما هو كائن وتفسيره، وقد تم استخدام هذا المنهج فى البحث الحالي لرصد المشكلات النفسية التى يعانى منها الأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة من خلال وصف وتحليل ومسح للأدبيات والدراسات والبحوث التى أهتمت بتناول هذه القضيه وهدفت إلى إبرازها . وكذلك للتعرف أيضا على الواقع الفعلى المقدم لهم .

ويتناول البحث الحالى المحاور الآتية :

١) مفهوم الدعم النفسي .
٢) مبادئ الدعم النفسي.
٣) المشاكل التى تواجه الأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة.
٤) المشاكل النفسية التى يعانى منها الأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة.
٥) طرق وأساليب الدعم النفسي التى يمكن تقديمها للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة.
٦) دورالمعلمة فى تقديم الدعم النفسي للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة.

محاور البحث :

أولاً: مفهوم الدعم النفسى :

هو أى نوع من الدعم يهدف إلى حماية وصيانة السلامة النفسية (وتشمل عقله،وعواطفه ومشاعره، وسلوكه) وتأثيرها على تطوره النفسى، أوالوقاية، أوعلاج الاضطرابات العقلية للأطفال بصفة خاصة (مازن حيدر،٢٠١٤:٣)

كما يعرف أيضاً بأنه أى نوع من الدعم يهدف إلى تعزيزالصحة النفسية، والحماية من الاضطرابات النفسية (منع الإصابة بها)، أومعالجتها (save the children,2019,1)

ثانياَ: مبادئ الدعم النفسي :

١) مبدأ تنمية الشخصية : مشكلات الأطفال النفسية بسبب الحروب ليست حالة مرضية، بل هى ردود فعل طبيعية لأوضاع غير طبيعية مروا بها.وبالتالى يكون دورالدعم النفسي هنا هو المساعدة فى نمو شخصية الطفل بإكسابه مهارات للتعامل والتغلب على هذه المشكلات بطريقة إيجابية .
٢) مبدأ الاهتمام : الثقة والاحترام جانب أساسى للتواصل مع الطفل، كذلك قبول الطفل كما هو دون شروط مسبقة .
٣) مبدأ مراعاة الخصائص العمرية : أن يتوافق الدعم النفسى المقدم مع خصائص المرحلة العمرية للفئة التى يتعامل معها ومراحل نموها .
٤) مبدأ تكامل التخصصات : ضرورة اشراك المتخصصين فى مجالات علم النفس، وعلم التربية، وعلم الاجتماع، والفنون (عبدالله المجيدل،٢٠١٩:٩).

ثالثًا: عرض لبعض المشاكل التى تواجه الأطفال ضحايا الحروب:

لا تقتصر أضرار الحروب وكوارثها على البنية التحتية فقط، بل لها عواقب أخرى كثيرة معقدة ومتشابكة تمتد لتشمل العديد من المشكلات التى تؤثر على الطفل فى مراحل عمره الأولى. منها :

- انفصاله عن اسرته، أوفقدها .
- الإعتداء الجسدى.
- الإعتداء الجنسى.
- تهديده بالقتل، وتعرضه للاصابات .
- الاضطرار للهجرة غيرالشرعية وما يترتب عليها من مخاطر لا تقل عن الأحداث المأساوية للحرب.
- الاختطاف من أجل السخرة، أو الجنس.
- الاتجار بالأطفال .
- تجنيد الأطفال.
- الإهانة والترويع والعزلة (حسن يوسف يوسف، ٨:٢٠١٣) و(أحمد عبدالرحمن أوزى،٢٢:٢٠١٩) و(رانيا جابرحمدى،٩:٢٠١٧).

رابعاً: بعض المشكلات النفسية والسلوكية التى يعانى منها الأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة :

للحروب آثار نفسية سلبية بالغة على الأطفال تتجاوز قدراتهم على التحمل وتؤثرعلى نموهم النفسي، وصحتهم النفسية نتيجه لمعايشتهم للمشاهد الدموية والعنيفة على أرض الواقع . مما يتسبب فى حدوث خلل فى عالمهم المألوف، وتؤثرأيضاً على شخصيتهم ، ونفسيتهم، وسلوكهم بشكل عام . وقد تستمر فى مطاردتهم، ومعاناتهم منها طوال حياتهم، فتلك الندوب النفسية هى جروح خفية لها تأثيرعميق ودائم تظل عالقة فى الذاكرة حتى بعد مرور سنوات. وكلما كان الأطفال أصغر سناً فإن المشكلات النفسية تصبح أكثر تدميراً . وعلى سبيل المثال تتمثل هذه المشكلات النفسية والسلوكية فى :

- الحرمان العاطفى.
- الاحساس بالوحده.
- شعوره الدائم بالخوف والأسي والقلق.
- احساسه بالعجز.
- معاناته من الكوابيس، ومشاكل فى النوم .
- العودة إلى مرحلة (النكوص إلى مرحلة سابقة) مثل مص الأصابع، التبول اللاارادى، الخوف من الظلام....
- الانعزال والانطواء (منسحب، وغير مبال) لا يتفاعل مع من حوله.

- عدم الثقة فى الآخرين .
- فقدان ثقته بنفسه.
- انخفاض تقديره لذاته .
- العدوان الذاتي تجاه نفسه .
- الشعور بالذنب.
- صعوبة فى التكيف.
- الشعور بالارتباك والتوتر.
- الاكتئاب .
- التفكير فى الانتحار.
- الشعور بالغضب .
- الفوبيا ونوبات الهلع.
- عدم التعاطف مع أى موقف أو حدث، أو شخص.
- تغير فى طريقة تعاطفه مع الآخرين.
- عدوائى ومتمرد .
- الشعور بالخجل.
- تغييرات حادة فى المزاج.
- يعانى من صعوبة فى التركيز.
- بالإضافة إلى ما يعانيه نفسياً نتيجه اصابته بتشوهات خلقيه، وإعاقات جسديه (بترأجزاء من الجسم) تعرض لها بسبب أحداث الحرب (هبه شوقى قشقوش،٢٠٢٠:٥) و(عبدالله الببشى،٢٠١١:٩) و(منظمة الصحة العالمية،٢٠١٢: ٣١) .

خامساً : استعراض بعض الأمثلة لطرق وأساليب الدعم النفسى التى يمكن تقديمها للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة :

تعد الأنشطة أدوات قوية تساعد فى التفريغ الانفعالى للطفل، وتتيح له فرصه التعبير عن مشاعره وأفكاره، وتمكنه من التنفيس عن طاقاته المكبوتة ،وتساهم فى التخفيف من أعراض المشكلات التى يمربها. لذلك يجب اختيار الأنشطة المناسبة والملائمة للأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة حتى يتسنى لها تحقيق أهدافها المنشودة . ومن أمثلة تلك الأنشطة المناسبة للأطفال فى تلك المرحلة العمرية ما يلى :

- أنشطة قائمة على اللعب: حيث يعد اللعب هو أكثر استراتيجية مناسبة ومثالية للأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة .حيث ينمى لديهم العديد من المهارات منها (ضبط النفس، والانضباط الذاتي، والقيادة .....
- أنشطة قائمة على الفن بأنواعه المختلفة ، ومنها الرسم الذى يعد وسيلة للتعبير الرمزى عن المشاعر السلبية التى يشعربها، وهو وسيلة مناسبة تماما مع الأطفال

الذى لا يجيدون التعبير عن مشاعرهم بالكلمات، وهوأداة مهمة للتعبيرعن الذات ، واسلوب لتشخيص وفهم حالتهم أيضاً .

- أنشطة التلوين، والموسيقى، المسرح،الأشغال اليدوية، الصلصال،مسرح العرائس، الغناء،الدراما).
- أنشطة قائمة على المسابقات والألعاب الرياضة .
- أنشطة الحكايات والقصص(كتابه قصة، أو تخيل قصة وحكيها) التى تثري وتنمى الخيال لدى الطفل .
- أنشطة ترفيهية داخلية وخارجية فى الهواء الطلق .
- التمثيل، ولعب الأدوار، التقمص: تمنحه فرصه لعب أدوارجديدة، وتعد وسيلة لاستكشاف مخاوف الطفل، كما تدربهم على التصرف بإسلوب صحيح وسليم .

(سمرالقاضى، ٢٠١١:١٦) و(unrwa.org) و(مرسيلينا حسن شعبان،٢٠١٣:٢٠٢)

سادساً: دور المعلمة فى تقديم الدعم النفسى للأطفال ضحايا الحروب فى مرحلة الطفولة المبكرة :

للمدرسة دورمهم فى شعور هؤلاء الأطفال بالحياة الطبيعية ، فهى تمثل مساحتهم الآمنه والصديقة والحاضنة لهم. وعندما يتوفر لدى المعلمة الكفاءة والخبرة فى التعامل مع هذه الفئة، فإن هذا يعززمن سلامة صحتهم النفسية ويحسن من فرص تعافيهم بشكل فعال . ويتم ذلك عن طريق :

- أن يكون لدى المعلمة وعي بالمحنة والأزمة التى يمر بها الطفل، ويكون لديها تفهم للتغيرات والاضطرابات النفسية التى تطرأ على سلوكياته ومنها على سبيل المثال تأخره الدراسي، ومشاعر الخوف التى يعاني منها (خوفه من الذهاب إلى المدرسة،خوفه من أسئلة زملائه وفضولهم تجاهه مما يشعره بالإحراج لأنه لا يعرف كيفية الإجابة عليها)، كذلك عدم قدرته على التكيف مع المكان والزملاء .
- عدم الاستخفاف بمشاعر الطفل أو تجاهلها.
- تشجيع الطفل على التعبير عن انفعالاته ومشاعره وأفكاره.
- إشعاره بالأمان النفسي وتوفر له الإهتمام حتى لا يشعر بأنه منبوذ أو مهمل.
- تكثيف الأنشطة الترفيهية المختلفة (مسابقات رياضية، رسم وتلوين، تمثيل، موسيقى .... مما يساعد فى اكسابه الثقة بنفسه، واندماجه مع من حوله والتواصل مع الآخرين.
- توضح له أنه ليس مسؤل عن الأشياء السيئه التى حدثت.
- تحاول تفسر للطفل وتشرح له أسباب ما حدث، وتقدم له المعلومات والإجابات بطريقة مبسطة وبلغة يفهمها.
- أن تكون صبورة وهادئة فى تعاملها مع الطفل .

- تحسن الإنصات إلى الطفل.
- ضرورة تأمين وتجهيزالقاعة أو المكان المتواجد فيه الأطفال حرصاً على سلامتهم وأمنهم حتى تكون ملائمة ومناسبة للعب (مازن حيدر،٢٠١٤:٩) و (أحمد شيخانى،٢٠١٤:٨٧).

نتائج البحث :

الدعم النفسي لا يقل أهمية عن توفير الاحتياجات الأساسية من (غذاء/علاج/ مأوى....، فهناك حاجة ماسة لتقديم برامج الدعم النفسى المختلفة للأطفال ضحايا الحروب، خصوصاً فى مرحلة الطفولة المبكرة لكى تساعدهم على التكيف مرة أخرى، وتمكنهم من متابعة حياتهم المستقبلية بشكل سوي نفسياً.

ورغم ذلك فإن الواقع الفعلى (فى حدود ما اطلعت عليه الباحثة) يبين وجود قصور فى البرامج الارشادية والعلاجية المقدمة للأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة من قبل الباحثين والمتخصصين . وعدم وجود اهتمام بهم فى تلك المرحلة العمرية ، وانه لا يتم استهدافهم بشكل خاص، بل كل ما يقدم لهم من دعم ورعاية هو جزء من جهود مساعدة فئات أخرى. وأن ما يحصلوا عليه هو مجموعة خدمات قائمة على مجهودات أشخاص متطوعين فى مؤسسات دولية، ومنظمات مجتمع مدني.

كما يتضح (فى حدود علم الباحثة) أن أغلب الدراسات والبحوث التى تناولت هذا الموضوع اهتمت بالجانب القانونى، والتشريعات ، والاتفاقيات الدولية الحقوقية . فى حين اهتمت بعض الدراسات الأخرى بالأطفال فى مرحلة الطفولة المتأخرة، والراشدين.

يتبين أيضا أن المشكلات النفسية التى يعانى منها الأطفال بسبب الحروب يمتد تأثيرها السلبي إلى مجالات وجوانب أخرى متعددة فى حياتهم.

لذا يجب التعامل مع احتياج الأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة للدعم النفسي بشكل فعال، وذلك بتقديم برامج خاصة بهم فى تلك المرحلة العمرية .

كذلك توجد أيضاً مسؤلية كبرى تقع على عاتق الباحثين والمتخصصين فى الدول المستضيفة لهؤلاء الأطفال للقيام بالتدخلات اللازمة من أجل تقديم المساعدة لهم .

التوصيات والمقترحات :

الأطفال ليسوا ضحايا للحروب فقط ، بل أصبحوا مستهدفين فيها أيضاً. لذلك يوصي البحث الحالى بضرورة توفير العديد من برامج الدعم النفسي، ورعاية الصحة النفسية، وبرامج العلاج النفسي، وبرامج التأهيل والتدريب، وبرامج التوعية والتثقيف، وبرامج الإرشاد النفسي والتربوي، التى تسهم فى الحد والتخفيف من آثار المشكلات النفسية التى تعرضوا لها، وتعمل على إعادة تأهيلهم وتعافيهم . لذلك نقترح ما يلى :

- إعداد برامج ارشادية وتربوية قائمة على الفن بأنواعه المختلفة .
- إعداد برامج علاجية قائمة على اللعب .
- إعداد برامج علاج سلوكى معرفى تعمل على إعادة تأهيلهم .
- إعداد برامج تدريبية تزودهم بالمهارات والقدرات التى تمكنهم من مواجهه التحديات النفسية، وطرق التعامل مع الأحداث الصادمة .
- إعداد برامج توعوية وتثقيفية ووقائية تهدف إلى تحصينهم ضد الأزمات أى تثقيفهم نفسياً.

مراجع البحث :

www.unrwa.org

SAVE THE CHILDREN.(2019). التعامل مع حالة الأطفال النفسية فى النزاعات

أحمد عبد الرحمن أوزى.(٢٠١٩).مشاكل الأطفال ومآزمهم النفسية فى ظل الحرب والنزاع المسلح. **مجلة خطوة**- ع (٣٥).

أحمد شيخاني. (٢٠١٤). الأطفال والحرب-الدعم النفسي الاجتماعي للأطفال خلال الأزمات والكوارث.مركز التفكير الحر.

حسن يوسف يوسف. (٢٠١٣). جريمة استغلال الأطفال وحمايتهم فى القانون الدولى والشريعة الاسلامية. المركز القومى للاصدارات القانونية – القاهرة.

رانيا جابر حمدي.(٢٠١٧).حق الطفل فى النسب إبان النزاعات المسلحة: دراسة تطبيقية على الأطفال فى العلم العربى. **رسالة دكتوراه** – كلية الحقوق- جامعة بنى سويف.

سمرالقاضي. (٢٠١١).**مجلة الإنساني** تصدر عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر.ع (٥١).

سيهام درويش أبوعيطه، وإيمان عربيات.(٢٠٢١).فاعلية برنامج إرشاد جمعي وفق الجدلية السلوكية في خفض أعراض اضطراب ما بعد الصدمة وتحسين مستوى التكيف النفسي الاجتماعي والتحصيل الدراسي لدى الأطفال السوريين اللاجئين فى الأردن. **مجلة دراسات – العلوم التربوية**- مج (٤٨)/ ع (١).

عبدالله محمد عبد الغنى البيشي. (٢٠١١).ضغوط الصدمة المرتبط بإصابات الرأس لدى عينة من الأطفال الذين تعرضوا لحوادث الطرق وأساليب المواجهة النفسية. **رسالة دكتوراه** – جامعة عين شمس.

عبد الله المجيدل. (٢٠١٩). دليل الدعم النفسي والتربوى للأطفال النازحين فى ظروف الحروب والكوارث. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

مازن حيدر. (٢٠١٤).الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي للأطفال في حالات الطوارئ . الهيئة العليا لشؤون الاغاثة فى سوريا .

مرسيلينا حسن شعبان. (٢٠١٣).الدعم النفسي ضرورة مجتمعية.شبكة العلوم النفسية العربية .

منظمة الصحة العالمية. (٢٠١٢). الاسعافات الأولية النفسية: دليل العاملين فى الميدان.

هبه شوقى محمد عبد الغنى قشقوش.(٢٠٢٠). معالجة وكالات الأنباء العالمية لصورة الطفل فى الحروب بالمنطقة العربية واتجاهات الأطفال نحوها. **رسالة ماجستير**- كلية الدراسات العليا للطفولة – جامعة عين شمس.